مع القرآن الكريم

بسم الله الرحمن الرحيم

مع القرآن الكريم

الأستاذ الدكتور

محمد عمر الحاجي

دار المكتبي

الطبعة الأولى

2009 - 1430

جميع الحقوق محفوظة

يمنع طبع أو إخراج هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من أشكال الطباعة أو النسخ أو التصوير أو الترجمة أو التسجيل المرئي والمسموع أو الاختزان بالحاسبات الالكترونية وغيرها من الحقوق إلا بإذن مكتوب من دار المكتبي بدمشق .

دار المكتبي
للطباعة والنشر والتوزيع
www.almaktabi.com

سورية - دمشق - حلبوني - جادة ابن سينا
ص.ب 31426 هاتف 2248433 فاكس 2248432
e-mail: almaktabi@mail.sy

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تمهيد

الحمد لله الذي أنزل القرآن هدايةً للبشرية ونوراً مبيناً : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴾ [النساء : ١٧٤] .

والصلاة والسلام على المعصوم محمد ، والذي أُنزل القرآن على قلبه ، ليكون في كل حركات حياته نوراً وهدايةً ورحمةً للعالمين : ﴿ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴾ [المائدة : ١٥ ـ ١٦] .

ورضي الله عن صحابته وأتباعه : ﴿ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [الأعراف : ١٥٧] .

وبعد : فالعالم اليوم يتخبط في دياجير الظلام ، ويحاول جماعة الإصلاح أن يتلمّسوا بصيص نورٍ من شرقٍ تارةً ، ومن غربٍ تارة أخرى ، لكن النتيجة أنهم يعودون بخفي حُنين!

ولا سبيل إلى الفلاح والنجاح إلا بالعودة إلى نور السماء ، وهو القرآن الكريم .

وهذا الكتيب يدخل في هذا السياق ، حيث الوقوف قليلاً مع القرآن الكريم ، عسى أن ننتفع بعلومه وأسراره وبركاته ، بعيداً عن الذين وصفهم القرآن، وذلك من خلال قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴾ [الفرقان : ٣٠] سائلين الباري سبحانه أن يجعل القرآن ربيع قلوبنا، ونور صدورنا، وأن يجعلنا ندور في فلكه، في كل وقتٍ وحين، وأن ينفعنا جميعاً بالقرآن، وأن يجعلنا من خاصته وأهله، آمين .

وصلى الله على المعصوم محمد ، وعلى آله وأصحابه ومن سار على الدرب إلى يوم الدين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

* * *

من خصائص القرآن

ذكر العلماء طائفةً من الأمور التي يختصُّ بها القرآن الكريم ، أهمها ما يلي :

١ـ القرآن هو كتاب الله :

حيث أوحى الله سبحانه به إلى خاتم الأنبياء ﷺ ، مصداق ذلك قوله عز وجل : ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ﴾ [الشورى: ٥٢ـ٥٣].

ولذلك ، فجبريل عليه السلام ليس إلا أمين الوحي ، نقل القرآن إلى رسول الله ﷺ .

والرسول ليس إلا مبلغاً ومبيّناً ، قال تعالى : ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ﴾ [الشعراء : ١٩٢ـ١٩٥] .

وعلى الرغم من كل محاولات التشكيك بألوهية منزِّل القرآن ، واتّهام الرسول ﷺ بأنه هو الذي كتب القرآن وألّفه ، فإن المسألة كما قال البوصيري رحمه الله :

قد تُنكر العين ضوء الشمس من رمدٍ

ويُنكر الفم طعم الماء من سَقَمِ!

٢ـ القرآن الكريم يتحدّى!! :

أولاً: جاء التحدّي لكل من يشكك بالقرآن أن يأتوا بمثله، قال تعالى : ﴿ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴾ [الطور : ٣٤] .

ثانياً: تحدّاهم أن يأتوا بعشر سور : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [هود : ١٣] .

ثالثاً: تحدّاهم أن يأتوا بسورة من مثله ، وليتكاتفوا في سبيل التحدّي : ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة : ٢٣ـ٢٤] .

ثم كان التحدي بأبلغ صورة ، وهي الصيغة المستقبلية : ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء : ٨٨] .

وأكّدت حقائق التاريخ ، ووقائع الحاضر ، فشلهم في ذلك ؛ لأن القرآن هو المعجزة الخالدة الباقية المتجدّدة، وكما قال أحمد شوقي رحمه الله :

جاء النبيّون بالآيات فانصرمَتْ وجئتنا بحكيمٍ غير منصرمِ
آياته كلما طال المدى جُددُ يزينهنّ جلالُ العتقِ والقِدمِ

والشيء الرائع أن لإعجاز القرآن وجوهاً ، منها : الإعجاز البياني ، والإعجاز التشريعي ، والإعجاز الاقتصادي ، والإعجاز العلمي ، ونحو ذلك .

٣ـ ﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ :

بعد أن تعرضت الكتب السماوية السابقة للتحريف والتزوير تكفّل الله سبحانه بحفظ القرآن بنفسه ، ولم يكل ذلك إلى أيّ أحد ، مصداق ذلك قوله سبحانه : ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر : ٩] .

وقد هيأ الله سبحانه لذلك أسباباً كثيرة ، منها :

أ ـ أن العرب الذين أُنزل فيهم القرآن كانوا يمتازون بالحفظ إلى حدٍّ عجيب ، وكما قال ابن تيمية رحمه الله : (أمتنا ليست مثل أهل الكتاب ، الذين لا يحفظون كتبهم في قلوبهم ، بل لو عُدمت المصاحف كلها ، كان القرآن محفوظاً في قلوب الأمة) .

ب ـ اتخذ الرسول ﷺ له كُتّاباً للوحي ، ومنعهم من كتابة أي شيء غير القرآن الكريم .

ج ـ وفي عهد أبي بكر رضي الله عنه تم جمع القرآن ، من الصدور والسطور ، وبعد وفاته انتقل إلى عمر رضي الله عنه .

د ـ وفي عهد عثمان رضي الله عنه ، وباقتراحٍ من حذيفة بن اليمان رضي الله عنه ، قاموا بنسخ عدد من النسخ عن النسخة التي جمعها أبو بكر ، ثم وزّعت النسخ في الأمصار الإسلامية ، كدمشق ، والقاهرة ، وبغداد . . .

هـ ـ ومن فضل الله وكرمه ازدياد عدد الحفاظ في كل وقتٍ وحين ، وازدياد الاهتمام بحفظ القرآن الكريم ، عن طريق

المعاهد ، والمساجد ، والكتابات ، وعن طريق الكمبيوتر ، والإنترنيت ، ونحو ذلك .

٤ـ ﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ ﴾ :

ليس القرآن ككتب الأدب ، ولا كتب الفلسفة ، ولا الكتب المختصّة بالعلوم البحتة ، حيث الرموز ، والألغاز ، والتعقيد ، إنما من خصائص القرآن أنه ميسّر للفهم ، سلسل لكل من يقرأ أو يتفكر ، كما قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ [القمر : ١٧] ، وقوله : ﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ [الدخان : ٥٨] .

ومن الحكم في تنزيل القرآن واضحاً ، مبيّناً ، ميسراً للجميع ، ليعقل الناس معانيه ، ويفقهوا أحكامه ، ويُدركوا أسراره ، قال تعالى : ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [ص : ٢٩] .

وقال سبحانه : ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [يوسف : ٢] .

٥ـ القرآن كتاب الدين والدّنيا! :

فمن أراد التعرّف على العقيدة الصافية ، فعليه بالقرآن ، مثال ذلك قوله تعالى في معرض إقامة البراهين على وجوده سبحانه : ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ [يونس : ٣١] .

ومن أراد التعرف على الشريعة ، فعليه بالقرآن ، حيث ورد حوالي خمسمئة آية تتحدث عن الأسرة والعبادات والأحكام ، ونحو ذلك ، مثال ذلك آية الدّين في أواخر سورة البقرة .

ومن أراد التعرّف على الأخلاق ، الربانية منها والإنسانية فعليه بالقرآن ، مثال ذلك قوله عز وجل : ﴿ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾ [البقرة : ١٧٧] .

ومن أراد التعرّف على ثبات الأحكام ، فليعلم أن القرآن هو الكتاب الذي جاء إلى كل الأجيال ، وكل الأزمان ، وإلى الإنسانية كلها ، وإلى الحياة كلها .

مصداق ذلك قوله تعالى : ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ [النحل : ٨٩] ، وقوله سبحانه : ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ [التكوير : ٢٧] .

ولهذا جمع القرآن الحقائق العلمية ، والحقائق الروحية ، والقيم الأخلاقية ، والقيم الجمالية ، إلى درجة ما قاله ابن عباس رضي الله عنهما : لو ضاع منّي عقال بعيرٍ لوجدته في كتاب الله!

﴿ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [يوسف : ١١١] .

* * *

من مبادئ القرآن

من المبادئ القرآنية والتي تهمّ الإنسانية بأكملها :

١ـ التركيز على العقائد :

وما أكثر الآيات التي تدور في فلك التوحيد، ونبذ الشرك، مصداق ذلك قوله تعالى: ﴿فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ ۝٣٠ حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج : ٣٠ـ٣١].

وبالتالي ، فلا واسطة بين الله وبين عباده ، إنما الباب مفتوح لكل من أراد ، قال تعالى : ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ﴾ [البقرة : ١٨٦] .

إضافة إلى ذلك فقد جاء التركيز القرآني على عقيدة الإنسان بالنبوة والرسالة ، حيث حاجة الناس إليهم ، كما قال تعالى : ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ

ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ﴾ [البقرة : ٢١٣] .

إضافة إلى التركيز على الإيمان باليوم الآخر ، بما فيه من جزاء وحساب ، مصداق ذلك قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا﴾ [الحج : ٥] .

كل هذا يجعل الإنسان يقف متأملاً ومتفكراً في أن القرآن حفل بالثناء على الله ، من أجل الوقوف طويلاً عند خلقه ونعمه وآلائه، وهذا هو الهدف الرئيس من خلق الله للإنسان ، وهو التعرف على الله ، وعبادته سبحانه ، كما قال تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات : ٥٦] .

٢ـ التأكيد على كرامة الإنسان :

حيث اعتبره المخلوق المدلل على الله ، خلقه بيديه ، ونفخ فيه من روحه ، واعتبره خليفته في أرضه ، وسخر له كل ما في هذا الكون ، مصداق ذلك قوله تعالى : ﴿ ۞ وَلَقَدْ

كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء : ٧٠] .

وقرّر له حقوقاً لم ولن تعرفها البشرية، مثل : حقه في حرية الاعتقاد، وفي المساواة، وفي تكوين الأسرة، وفي الحياة، وفي السير والعمل والكسب، وفي صيانة ملكه وماله ودمه، مثال ذلك قوله تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ﴾ [الحجرات : ١٣] .

وخصّ الفقراء بعنايةٍ فائقة ، وذلك من خلال المحافظة على أموال اليتامى ، وفرض حصةٍ لهم في أموال الدولة ، بل وشرع القتال دفاعاً عنهم ، دليل ذلك قوله تعالى : ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ﴾ [المدثر : ٤٢ـ٤٤] .

وقوله عز وجل : ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا﴾ [النساء : ٧٥] .

وأكد القرآن كثيراً على تزكية النفس البشرية ، معتبراً الفلاح مرتبطاً بالتزكية ، قال تعالى : ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾

﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ [الشمس : ٧ـ١٠] .

ولا تكون التزكية بالأحلام ، إنما لا بدّ لها من مجاهدة وجهاد ، قال تعالى : ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت : ٦٩] .

٣ـ الانفتاح على العالمين :

من المبادئ القرآنية التأكيد على الروابط الأسرية، ولذلك اعتبر الزواج عبادة، رافضاً الرهبانية من جهة، والإباحية من جهة أخرى.

ووضع الهدف من الزواج ، وهو الذرية الصالحة ، كما قال تعالى ، وذلك في معرض الحديث عن عباد الرحمن : ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان : ٧٤] .

ثم وسّع القرآن دائرة الأسرة ، ليصبح التركيز على الأمة ، والتي تقوم على العقيدة ، قال تعالى : ﴿هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [الحج : ٧٨] .

وبالتالي ، وصف القرآن الأمة الإسلامية بأوصاف رائعة :

ـ **منها** : أنها الأمة الربانية المرتبطة بوحي الله سبحانه ، قال تعالى : ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ [المائدة : ٣] .

ـ **ومنها** : أنها الأمة الواحدة ، في العقيدة والشريعة والغاية والمنهج ، وبالتالي فكل الأعراق والألوان والطبقات والفروق ذابت في بوتقة الإسلام، قال تعالى : ﴿ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴾ [المؤمنون : ٥٢] .

ـ **ومنها** : أنها أمة الدعوة والهداية للجميع ، كما قال تعالى : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران : ١٠٤] .

ـ **ومنها** : أنها أمة الوسطية ، في اعتقادها وشعائرها وعباداتها وأخلاقها وسلوكياتها ، كما قال تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ ﴾ [البقرة : ١٤٣] .

كل هذا يوجب على أفراد الأمة أن يرتفعوا فوق العصبيات والأهواء ، وأن يتكاتفوا ويتعاونوا فيما بينهم ، على

ما يرضي الله سبحانه ، ليكونوا كما أخبر سبحانه : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [الحجرات : ١٠] .

وكما ذكر الشاعر :

أبي الإسلامُ لا أب لي سواه إذا افتخروا بقيسٍ أو تميمِ

ثم وسّع القرآن الدائرة أكثر ، ليتحدث عن العالم الإنساني ، وذلك لأن الإسلام عالمي ، ودعوته للناس كافة ، وهذا ما قرره القرآن في العهد المكي ، قال تعالى : ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ [الأعراف : ١٥٨] .

وتجلى ذلك من خلال الدعوة إلى تحرير الإنسان من العبودية للإنسان والأشياء والأوهام ، والتوجه إلى عبودية الله سبحانه .

كما تجلى ذلك في رفع لواء الأخوة والمساواة الإنسانية ، حيث الأصل واحد ، وهم متساوون أمام الرب الواحد ، ولذلك طالبهم القرآن بالعدل ، حتى لو كان مع ألدّ الأعداء ، قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [المائدة : ٨] .

وعلى أرض الواقع أعلنها الخليفة عمر رضي الله عنه : يا عمرو ، متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً ؟! .

كما وطالبهم القرآن بالسلام بين البشر ، كبديل عن الصراعات والحروب والنزاعات ، قال سبحانه : ﴿ ۞ وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [الأنفال : ٦١] .

حتى الجهاد وخوض المعارك لا يكون إلا إنقاذاً للمستضعفين ، وتأديباً للناكثين بالعهود ، ودفاعاً عن الدعوة ، قال سبحانه : ﴿ وَقَٰتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴾ [البقرة : ١٩٠].

ولهذا كان من المبادئ القرآنية التسامح مع غير المسلمين، خاصة أهل الذمة، حيث أباح أكل ذبائحهم، والنكاح من نسائهم، ومحاورتهم على أساس الأرضية المشتركة، قال تعالى : ﴿ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ ۖ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾ [المائدة : ٥] .

أجل! هذه المبادئ القرآنية، وأمثالها فيها الصلاح والفلاح للإنسانية جمعاء .

* * *

كيفية تلاوة القرآن

في القرآن الكريم والسنة النبوية ما يدلّ على فضل تلاوة القرآن ، وما أعده الله من أجرٍ وثواب لمن يفعل ذلك ، مثال ذلك قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴾ [فاطر : ٢٩ـ٣٠] .

وقول الرسول ﷺ : « **يقول الرب تبارك وتعالى : من شغله القرآن عن مسألتي أعطيته أفضل ما أُعطي السائلين ، وفضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه** »[1] .

وقوله صلوات الله عليه : « **من قرأ حرفاً من كتاب الله ، فله حسنة ، والحسنة بعشر أمثلها ، لا أقول : ﴿الم﴾**

---

(١) سنن الترمذي (٢٩٢٦) .

حرف : ولكن ألف حرف ، ولام حرف ، وميم حرف »[1] .

ذلك لأن لتلاوة القرآن تأثير عجيب ، حتى المشركون يتأثرون به ، ولهذا تراهم يتناصحون بأن لا يستمعوا إليه ، قال تعالى : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسْمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْاْ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾ [فصلت : ٢٦] .

بل وحتى الجنّ، عندما سمعوا القرآن تأثروا، قال تعالى على لسانهم : ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِيٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا﴾ [الجن : ١-٢].

ولهذا أكد العلماء على أن قراءة القرآن ليست كغيره من الشعر والنثر ونحو ذلك ، إنما هو الترتيل ، والذي يعني : التأنّي والتمهل ، وتبيين الحروف والحركات .

وكما قال الإمام الزركشي رحمه الله : على كل مسلم قرأ القرآن أن يرتله .

---

(١) سنن الترمذي (٣٩١٢) .

وإن لم يرتل ، فليحسّن صوته بالقراءة ، دليل ذلك قوله صلوات الله عليه : « **زيّنوا القرآن بأصواتكم ، فإن الصوت الحسن يزيد القرآن حسناً** »[1] .

وله الخيار بين التلاوة سرّاً ، والتلاوة جهراً ، دليل ذلك قول أبي هريرة رضي الله عنه : كانت قراءة النبي ﷺ بالليل يرفع طوراً ، ويخفض طوراً[2] .

لكن ومع التلاوة لا بد من تدبّر معانيه ، قال الله تعالى : ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [ص : ٢٩].

ورضي الله عن زيد بن ثابت عندما قال : لأن أقرأ القرآن في شهرٍ أحبّ إليّ من أن أقرأه في خمس عشرة ، ولأن أقرأه في خمس عشرة أحب إليّ من أن أقرأه في عشر ، ولأن أقرأه في عشر أحب إليّ من أن أقرأه في سبع ، أقف وأدعو .

وقد ورد عن السلف الصالح أنهم كانوا يرتّلون القرآن بأناة

---

(١) مجمع الزوائد (٧/ ١٧) .
(٢) سنن أبي داود (١٣٢٨) .

وذلك من أجل التأمل والتدبر ، من ذلك ما ورد في ترجمة تميم الداري رضي الله عنه : أنه قام الليل بآية يكررها حتى أصبح أو كاد ، وهي قوله تعالى : ﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ [الجاثية : ٢١] .

إضافة إلى ذلك ، على المسلم أثناء تلاوة القرآن : الخشوع والبكاء ، حتى لو كان ذلك تكلفاً ، دليل ذلك قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَـٰسِقُونَ ﴾ [الحديد : ١٦] .

ومع ذلك كله ، فالأفضل أثناء التلاوة التجاوب مع آيات القرآن ، حيث يتفاعل القلب والعقل ، ليصير حال الإنسان كما قال عوف بن مالك رضي الله عنه : قمتُ مع النبي ﷺ ليلة ، فقام فقرأ سورة البقرة ، لا يمرّ بأية رحمةٍ إلا وقف وسأل ، ولا يمرّ بآية عذاب إلا وقف وتعوّذ[1] .

---

(١) سنن أبي داود (٧٢٣) .

أما إذا كان مستمعاً ، فعليه أن يعلم أن حاله ذلك فيه أجرٌ واضح ، وهذه سنّة المصطفى صلوات الله عليه ، ففي الحديث المتفق عليه أن الرسول طلب من ابن مسعود أن يقرأ عليه شيئاً من القرآن ، فقال ابن مسعود : أقرأ عليك ، وعليك أُنزل ؟!..

قال : « **إني أشتهي أن أسمعه من غيري** » .

قال : فقرأت سورة النساء حتى إذا بلغتُ : ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴾ [النساء : ٤١] .

قال لي : « **كف** » أو « **أمسِكْ** » فرأيت عيناه تذرفان .

ولا بدّ للمستمع من الخضوع لبعض الآداب ، مثل : حسن الاستماع ، والإنصات مع السكوت ، وذلك من أجل مساعدة العقل على التدبر ، والقلب على التأثّر ، قال تعالى : ﴿ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [الأعراف : ٢٠٤] .

أما الجاحدون المكابرون ، فهم الذين يصمّوا آذانهم ، ويغيّبوا عقولهم ، ويعطّلوا قلوبهم ، حتى يُصبح حالهم كما قال الله تعالى : ﴿ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا

وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾ [الأعراف : ١٧٩] .

* * *

كيفية حفظ القرآن

من كرم الله وفضله على العالمين أنه جعل القرآن الكريم ميسراً للحفظ والاستظهار ، حيث السلاسة في ألفاظه وجمله وسوره ، ويدخل هذا في ظلال قوله تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر : ٩] .

وبالتالي ، فكل من حفظ القرآن ـ وخاصة في الصغر ـ أفاده ذلك في ضبط الحروف ، وتقويم اللسان ، ونحو ذلك ، وقد ورد في تراجم علمائنا ـ كالشافعي ـ أنهم حفظوا القرآن وهم أبناء عشر! وفي زماننا رأينا من حفظ القرآن وهو أصغر من ذلك! . .

كيف لا ؟ وقد استفاضت الأحاديث النبوية التي ترغب في حفظ القرآن ، مثال ذلك قوله صلوات الله عليه : « **يجيء صاحب القرآن يوم القيامة ، فيقول القرآن : يا رب حلِّه ، فيُلبس تاج الكرامة ، ثم يقول : يا رب زدْه ، فيُلبس حُلّة**

الكرامة ، ثم يقول : يا رب ارض عنه ، فيرضى عنه ، فيُقال له : اِقرأ وارْق ، ويزداد بكل آية حسنة »[1] .

لكن هناك بعض التوصيات في هذا المجال ، منها :

١ـ أن يُخلص صاحب القرآن النية والقول والعمل لوجه الله تعالى ، ويبتعد عن المراءاة وحطام الدنيا ، دليل ذلك قوله تعالى : ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾ [الكهف : ١١٠] .

وقوله صلوات الله عليه : « **من طلب العلم لغير الله ـ أو أراد به غير الله ـ فليتبوأ مقعده من النار** »[2] .

٢ـ أن يتخلّق بأخلاق القرآن : والقدوة في ذلك رسول الله ﷺ ، فقد سُئلت عائشة رضي الله عنها عن خُلقه ؟ فقالت : كان خُلقه القرآن[3] .

ورضي الله عن ابن مسعود عندما قال : ينبغي لحامل القرآن

---

(١) سنن الترمذي (٢٩١٦) .
(٢) سنن ابن ماجه (٢٥٨) .
(٣) صحيح مسلم (٧٤٦) .

أن يعرف بليله إذا الناس ينامون ، وبنهاره إذا الناس يضحكون ، وبصمته إذا الناس يخوضون ، وبخشوعه إذا الناس يختالون ، وينبغي لحامل القرآن أن يكون مستكيناً ليّناً ، ولا ينبغي له أن يكون جافياً ولا صيّاحاً ولا صخّاباً .

٣ـ أن يسارع إلى تطبيق ما حفظ من القرآن : وقد كان بعض السلف يقول : إن العبد ليفتتح سورة ، فتصلي عليه الملائكة حتى يفرغ منها ، وإن العبد ليفتتح سورة فتلعنه الملائكة حتى يفرغ منها ، فقيل له : وكيف ذلك ؟ .

قال : إذا أحل حلالها ، وحرّم حرامها ، صلّت عليه ، وإلا لعنته .

٤ـ أن لا يلتفت صاحب القرآن إلىٰ الأغيار ، بل يجعل محور حياته الدوران مع الله ، مصداق ذلك قوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ [الأنعام : ١٦٢ ـ ١٦٤] .

ورحم الله الفضيل بن عياض عندما قال : ينبغي لحامل القرآن ألا يكون له إلى أحدٍ حاجة ، لا إلى الخلفاء ، فمن

دونهم ، فينبغي أن تكون حوائج الخلق إليه .

٥ـ أن يتعاهد القرآن : حيث الدوام على تلاوته ، أو الاستماع إليه ، سواء ذلك من قارئ آخر ، أو من شريط أو (CD) ونحوه .

ذلك لأن القرآن كما هو سهل الحفظ ، كذلك سهل نسيانه بسرعة ، مصداق ذلك قوله ﷺ : « **تعاهدوا القرآن ، فوالذي نفس محمد بيده ، لهو أشد تفلّتاً من الإبل في عقلها** »[١] .

٦ـ وعلى صاحب القرآن أن لا يبخل على الناس في تعليم ما وهبه الله من علوم ، وخاصةً ما يتعلق بالقرآن ، دليل ذلك قول الرسول ﷺ : « **ما اجتمع قومٌ في بيتٍ من بيوت الله تعالى ، يتلون كتاب الله ، ويتدارسونه فيما بينهم ، إلا نزلت عليهم السكينة ، وغشيتهم الرحمة ، وحفّتهم الملائكة ، وذكرهم الله فيمن عنده** »[٢] .

٧ـ وأن يكون أسوة وقدوة في أعمال الخير : حتى في

---

(١) اللؤلؤ والمرجان (٤٥٣) .

(٢) صحيح مسلم (٢٦٩٩) .

الحروب كان حملة القرآن يتقدمون الصفوف ، وعندما كانت المعارك تحتدم ، كان المنادي ينادي : يا أهل القرآن ، يا أهل سورة البقرة! .

* * *

كيفيّة فهم القرآن

١ـ أهميته :

يُفهم القرآن من خلال تفسير آياته ، حيث يتم الكشف المعنوي والحسي عن معاني القرآن ، وعن أحكامه ، ولذلك عرّف العلماء التفسير بأنه : علمٌ يُفهم به كتاب الله المنزّل على نبيه محمد ﷺ ، وبيان معانيه واستخراج حِكَمه وأحكامه .

ورحم الله سعيد بن جبير عندما قال : من قرأ القرآن ، ثم لم يفسّره ، كان كالأعمى أو كالأعرابي! .

وبالتالي ، إن لم يعرف قارئ القرآن تفسيره وتأويله ، كان لا بدّ سيقع في أخطاء كثيرة في فهم القرآن .

ولهذا أشار العلماء إلى أهمية فهم القرآن وتفسيره ، وكما قال العلامة الأصبهاني : (. . . فصناعة التفسير قد حازت الشرف من الجهات الثلاث ، أما من جهة الموضوع ، فلأن

موضوعه كلام الله تعالى الذي هو ينبوع كل حكمة ، ومعدن كل فضيلة ، « **فيه نبأ ما قبلكم ، وخبر ما بعدكم ، وحكم ما بينكم ، لا يخلق على كثرة الردّ ، ولا تنقضي عجائبه** » ، وأما من جهة الغرض ، فلأن الغرض منه هو الاعتصام بالعروة الوثقى والوصول إلى السعادة الحقيقية التي لا تفنى ، وأما من جهة شدة الحاجة ، فلأن كل كمال ديني أو دنيوي ، عاجلٍ أو آجلٍ ، مفتقر إلى العلوم الشرعية والمعارف الدينية ، وهي متوقفة على العلم بكتاب الله تعالى) .

وورد عن إياس بن معاوية رحمه الله أنه قال : (مثل الذين يقرؤون القرآن وهم لا يعلمون تفسيره ، كمثل قومٍ جاءهم كتاب من ملكهم ليلاً وليس عندهم مصباح ، فتداخلتهم روعة ، ولا يدرون ما في الكتاب ، ومثل الذي يعرف التفسير كمثل رجلٍ جاءهم بمصباح فقرؤوا ما في الكتاب) .

وللتفسير أنواع ، أهمها : التفسير بالمأثور ، والتفسير بالرأي .

٢ـ أقوم المناهج في فهم القرآن :

ذكر العلماء طائفة من الخطوات للوصول إلى أقوم

المناهج في فهم وتفسير القرآن، أهمها:

أ ـ الجمع بين الرواية والدراية : أي الجمع بين النقل والعقل كما فعل الطبري في تفسيره (جامع البيان عن تأويل آي القرآن) حيث الاعتماد على ما ورد من مأثورات وأقوال عن الرسول والصحابة والتابعين ، مع الاتكاء على الرأي .

ب ـ تفسير القرآن بالقرآن : وذلك لأن القرآن يأتي بأمرٍ ما ، في سورة بشكل مجمل ، ثم يفصّل الأمر في سورة ثانية ، ولذلك يجب ضم الآيات إلى بعضها ، حتى يتكامل فهم المعنى، مثال ذلك قوله تعالى : ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة : ١] حيث لم تبين الآية المعنى من كلمة ﴿ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ .

فجاء التفسير في سورة آخر ، مثلاً قوله تعالى : ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ﴾ [الشعراء : ٢٣ـ٢٤] .

فتبين أن ﴿ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ تشمل السموات والأرض وما بينهما .

ج ـ تفسير القرآن بصحيح السنّة : وذلك لأن السنة هي الشارحة للقرآن ، وهذه إحدى وظائف رسول الله ، دليل ذلك قوله تعالى : ﴿ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۙ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [النحل : ٦٤] .

وقد فسر الرسول ﷺ بعض الآيات ، مثال ذلك تفسير الرسول لقوله تعالى : ﴿ ۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ ﴾ [يونس : ٢٦] بأنها : النظر إلى وجه الله الكريم[1] .

د ـ الانتفاع بتفسير الصحابة والتابعين : وذلك لكونهم أقرب الناس عهداً بالوحي ، واجتهاد المصطفى صلوات الله عليه .

هـ ـ الاستئناس بأسباب النزول : وخاصة الصحيح منه والموثّق .

و ـ تتبع الكلمة في القرآن الكريم ، حتى يكتمل المعنى ويُفهم السياق ، ومثله ما يُطلق عليه اليوم (التفسير الموضوعي للقرآن) ، فمثلاً كلمة الصبر ، أين وردت ،

---

(١) للتوسع يراجع : موسوعة التفسير قبل عهد التدوين ، للمؤلف ، ٤٧ـ١١٩ .

وكيف ، ومتى بحيث يتكون لدينا نظرة شاملة متكاملة عن موضوع الصبر .

ز ـ إبعاد القرآن الكريم وتفسيره عن كل ما يحمل الإنسان من أفكارٍ ومعتقدات ونحو ذلك .

٣ـ مزالق خطيرة في فهم القرآن :

حذّر العلماء من عدة مزالق في طريق فهم كتاب الله ، وهي من الخطورة بمكان ، أهمها :

أ ـ وضع النص القرآني في غير موضعه : وهذا من تحريف الكلم عن مواضعه ، وقد يكون ذلك عن جهل وعجلة ، وقد يكون ذلك عن خُبث وفساد نيّة ! . .

مثال ذلك: من استدل على منع تعدد الزوجات بقوله تعالى : ﴿ وَلَن تَسْتَطِيعُوٓاْ أَن تَعْدِلُواْ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ ﴾ [النساء : ١٢٩] ؛ فهذا نصّ صريح بحاجةٍ إلى إكمالٍ ، لا بتر ، وذلك لأن تكميل النص هو قوله تعالى : ﴿ فَلَا تَمِيلُواْ كُلَّ ٱلْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَٱلْمُعَلَّقَةِ ﴾ [النساء : ١٢٩] .

ليكون المعنى : إن الميل العاطفي والذي لا يملكه

الإنسان هو ميل مغتفر ، مصداق ذلك قوله صلوات الله عليه : « **اللهم هذا قسمي فيما أملك ، فلا تؤاخذني فيما تملك ولا أملك** »[1] .

ب ـ الخروج عن إجماع الأمة ، وبالتالي فهي معصومة بمجموعها ، لا برأي واحد مثلاً .

وبالتالي فالأفضل لنا اليوم التمسك بما ورد في عهود الخيرية الأولى ، حيث هدي الصحابة الأكارم ، والتابعين ، ومن سار على دربهم من فقهاء وعلماء وعاملين .

ج ـ الاعتماد على الإسرائيليات : وخاصة المرويات في كتب التفسير والقصص ونحو ذلك .

د ـ الإعراض عن السنن والآثار : واتخاذ المنهج العقلي مع قبول الأحاديث الضعيفة والمكذوبة! .

هـ ـ التوسع في مسألة النسخ : بلا برهان ولا دليل ، علماً أن علماء علوم القرآن قد ضبطوا مسألة النسخ إلى حدٍّ عجيب! .

---

(١) سنن الترمذي (١١٤٠) .

و ـ تأويل النصوص دون الوصول إلى معناها الحقيقي! علماً أن العلماء قد اهتموا بالتأويل المنسجم مع النصوص التي يكمّل بعضها البعض!.

* * *

القرآن : منهج ودستور

١ـ القرآن هو المنهج الشامل المتكامل :

أنزل الله تعالى القرآن الكريم ، وأنزل فيه قوله : ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل : ٨٩] .

ولذلك ، فالقرآن منهج متكامل ، وذلك من خلال :

أ ـ أنه ينظم علاقة الفرد بربه سبحانه : حيث التوحيد المطلق، كما في قوله تعالى : ﴿قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾ قُلْ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣﴾ قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِى ﴿١٤﴾ فَٱعْبُدُوا۟ مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِۦ﴾ [الزمر : ١١ـ١٥] .

وبالتالي : فكل ما في الكون عبدٌ بين يدي ربه الخالق المنعم سبحانه ، فكيف يسجد بعض البشر لصنمٍ أو حجرٍ أو بشر ؟! . . والأجدر أن يسجدوا لخالق القوى والقدر .

ب ـ والقرآن ينظم علاقة الفرد بنفسه : وذلك من خلال

دفعها نحو كل أبواب الخير، وإلى العروج بها إلى معارج التزكية، كما في قوله تعالى : ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ [الشمس : ٧-١٠].

ج ـ والقرآن ينظم علاقة الفرد بأسرته : وذلك من خلال الحديث عن العلاقة الزوجية، وعن الأولاد والآباء والأمهات، قال تعالى : ﴿۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ۝٢٣ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا﴾ [الإسراء : ٢٣-٢٤] .

د ـ والقرآن ينظم علاقة الفرد بمن حوله : كالجيران ونحو ذلك ، قال تعالى : ﴿۞ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ﴾ [النساء : ٣٦].

هـ ـ والقرآن ينظم العلاقة بين الفرد وأمته : بحيث يقوم البعض بالنصح ، والدفاع عنها ، ونحو ذلك ، قال تعالى :

﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾ [التوبة : ٧١] .

و ـ والقرآن ينظم العلاقة بين الفرد والآخرين من غير المسلمين ، وذلك من خلال العدل مع المسالمين منهم ، مصداق ذلك قوله تعالى : ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾ [الممتحنة : ٨ـ٩] .

ز ـ والقرآن ينظم العلاقة مع الحياة الدنيا : وذلك من خلال اعتبارها قنطرة يعبر الإنسان عليها إلى الآخرة! .

ولذلك عليه أن يزرع فيها الخير ، ليحصد في الآخرة الأحسن والأفضل! .

والمسلم العاقل هو الذي يجمع بين الدنيا والآخرة ، كما ورد في سياق الحوار بين الطاغية قارون وبين من آمن بالله وحده ، في قوله تعالى : ﴿ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ [القصص : ٧٧] .

وبالتالي ، لا إفراط ولا تفريط! .

٢ ـ القرآن هو الدستور الخالد :

أ ـ في مجال الدعوة إلى الله تعالى : حيث يُعتبر القرآن عالمياً ، حتى قبل أن تظهر صرعة العولمة! .

مصداق ذلك قوله تعالى : ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾ [الفرقان : ١] .

وقوله سبحانه : ﴿ وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ ﴿٥١﴾ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ [القلم : ٥١ـ٥٢] .

ومن معالم المنهج الدعوي في القرآن ما يلي :

١ـ حوار المخالفين بالحكمة والموعظة الحسنة : كما في قوله تعالى : ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ [النحل : ١٢٥] .

٢ـ أن تكون الدعوة قائمةً على الحجج والبراهين : كما في قوله تعالى : ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ ﴾ [يوسف : ١٠٨] .

٣ـ أن يخاطب كل قوم على حسب مستواهم ، وباللغة

التي يعقلونها ، مصداق ذلك قوله تعالى : ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ ﴾ [إبراهيم : ٤] .

ورضي الله عن علي عندما قال : حدّثوا الناس بما يعرفون ، ودعوا ما ينكرون ، أتحبون أن يكذب الله ورسوله ؟!..

٤ـ الاستشهاد بالآيات القرآنية في موضعها : ذلك لأن الدليل في محله يجعل الآخرين مستسلمين أمام عظمة القرآن ، كما قال تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٖ وَلَا مُؤۡمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمۡرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُ مِنۡ أَمۡرِهِمۡۗ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلٗا مُّبِينٗا ﴾ [الأحزاب : ٣٦] .

ب ـ **وفي مجال الحكم** : أورد القرآن أصولاً ومبادئ غايةً في الأهمية ، وذلك من خلال التركيز على الحكم بما أنزل الله ، كما في قوله سبحانه : ﴿ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَمُهَيۡمِنًا عَلَيۡهِۖ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ ﴾ [المائدة : ٤٨] .

٣ـ لا بدّ من اتباع القرآن :

من هنا فعلى كل مسلم أن يؤمن بالقرآن كله ، وإلا كان

حاله كحال المنافقين ، والكافرين ، الذين قالوا : نحن نؤمن ببعض الكتاب ونكفر ببعضه الآخر ، قال تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ۝ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا﴾ [النساء : ٦٠-٦١] .

وبالتالي ، فحال المؤمن أمام ما ورد في القرآن هي حال الإذعان والطاعة والاستسلام ، كما قال تعالى : ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [النور : ٥١] .

سواء كان ذلك فيما يتعلق بآيات الأحكام أو العقيدة أو العبادة أو الخلق أو السلوك ، ونحو ذلك .

كل هذا يقود إلى الاهتمام بجانب اتباع القرآن ، ليكون له التأثير الكبير في حياة الفرد والجماعة .

وهذا هو معنى (بركة القرآن) : أي في اتباعه ، كما قال تعالى : ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأنعام : ١٥٥] .

وهذا ما فهمه السلف الصالح من الأمة ، حيث كان الواحد منهم يتعلم بعض الآيات ، ولا يتعداها إلى غيرها إلا إذا طبقها بشكل عملي على أرض الواقع ، مثال ذلك ما ورد في صحيح البخاري وغيره ، عن أنس رضي الله عنه قال : كان أبو طلحة أكثر الناس بالمدينة مالاً ، وكان أحب أمواله إليه بيرحاء ـ أحد بساتين المدينة المنورة ـ وكان مستقبلة المسجد ، وكان النبي ﷺ يدخلها ، ويشرب من ماء فيها طيب .

قال أنس : فلما نزلت : ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران : ٩٢] ، فقال أبو طلحة : يا رسول الله ، أشهدك أن بيرحاء صدقة لله أرجو برّها وذخرها عند الله تعالى ، فضعها يا رسول الله حيث أراك الله .

فقال الرسول صلوات الله عليه : « **بخٍ بخٍ! ذاك مال رابح ، ذاك مال رابح** » .

ومع الاتباع لا بد من أن نجعل اهتمامنا بالأمور على مقدار اهتمام القرآن بها ، مثال ذلك : أن لا نبالغ في الحديث عن الطهارة والوضوء والتيمم ـ كما حدث وللأسف ـ والقرآن قد

ذكر ذلك كله في آيةٍ واحدة ، هي قوله سبحانه : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ ۚ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَٱطَّهَّرُواْ ۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ﴾ [المائدة : ٦] .

بينما نهمل الآيات التي تتحدث عن الجهاد والقتال في سبيل الله ـ وما أكثرها في القرآن الكريم ـ[1] .

ومثلها: أن لا نطيل الحديث عن تفصيلات القصص القرآنية ، ثم نهمل جوهر القصة وروحها!! .

* * *

(١) للتوسع يراجع كتاب: الجهاد الاقتصادي ، للمؤلف ،ص ١٢٥ـ١٦٠ .

في صُحْبَةِ القُرآن

ذكر العلماء طائفة من الآداب المتعلقة بتلاوة القرآن الكريم ، وحفظه ، والتخلّق بأخلاقه ، يمكن اختصارها بما يلي :

أ ـ آداب تلاوة القرآن الكريم :

١ـ يستحب الإكثار من تلاوة القرآن : دليل ذلك قوله تعالى في معرض الثناء على المكثرين من تلاوته : ﴿يَتْلُونَ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ﴾ [آل عمران : ١١٣] ، وقوله صلوات الله عليه : « **لا حسَدَ إلا في اثنتين** : ـ ومنها ـ **رجلٌ آتاه الله القرآن ، فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار** »[١] .

٢ـ ويستحب الوضوء لقراءة القرآن : لأنه أفضل الأذكار ، وقد كان رسول الله ﷺ يكره أن يذكر الله إلا على طهرٍ[٢] .

---

(١) صحيح البخاري (٧٣) ، وصحيح مسلم (٨١٥) .

(٢) سنن أبي داود (١٨) .

٣ـ يُسنُّ التعوذ قبل قراءة القرآن : دليل ذلك قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ [النحل : ٩٨] .

٤ـ ويسنّ أن يستاك تعظيماً وتطهيراً : دليل ذلك قوله ﷺ : « **إن أفواهكم طرق للقرآن ، فطيّبوها بالسّواك** »[١] .

٥ـ ويسنّ الترتيل في قراءة القرآن ، مصداق ذلك قوله تعالى : ﴿ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴾ [المزمل : ٤] .

٦ـ وتسن القراءة بالتدبّر والفهم : دليل ذلك قوله تعالى : ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ ﴾ [ص : ٢٩] .

وقال حذيفة رضي الله عنه : صلّيت مع النبي ﷺ ذات ليلةٍ ، فافتتح البقرة فقرأها ، ثم النساء فقرأها ، ثم آل عمران فقرأها ، يقرأ مترسلاً ، إذا مرّ بآيةٍ فيها تسبيح سبّح ، وإذا مرّ بسؤالٍ سأل ، وإذا مرّ بتعوذ تعوذ[٢] .

٧ـ ويستحب البكاء عند قراءة القرآن ، والتباكي لمن لا يقدر عليه ، والحزن والخشوع ، دليل ذلك قوله ﷺ :

---

(١) السنن الكبرى للبيهقي (١/٣٨) .
(٢) صحيح مسلم (٧٧٢) .

« إن هذا القرآن نزل بحزن وكآبةٍ ، فإذا قرأتموه فابكوا ، فإن لم تبكوا فتباكوا »[1] .

٨ ـ ويسنّ تحسين الصوت بالقراءة وتزيينها ، دليل ذلك قوله صلوات الله عليه : « زيّنوا القرآن بأصواتكم »[2] .

٩ ـ ويستحب القراءة في المصحف : لأنها أفضل من القراءة من حفظه ، خاصةً أن النظر في القرآن عبادة .

١٠ـ ويكره قطع القراءة لمكالمة أحدٍ : لأن كلام الله لا ينبغي أن يُؤثر عليه كلام غيره .

ويكره أيضاً الضحك والعبث والنظر إلى ما يُلهي .

١١ـ والأولى أن يقرأ على ترتيب المصحف ، وذلك لأن ترتيبه لحكمةٍ ، فلا يتركها إلا بوجود نص .

١٢ـ يسنّ الاستماع لقراءة القرآن، وترك اللغط والحديث، دليل ذلك قوله تعالى : ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأعراف : ٢٠٤] .

---

(١) سنن ابن ماجه (١٣٣٧) .

(٢) سنن النسائي (٢/ ١٨٠) .

١٣ـ ويسن السجود عند قراءة آيةٍ فيها سجدة : وهي أربع عشرة سجدة .

١٤ـ ويسن الدعاء عقب ختم القرآن : دليل ذلك قوله صلوات الله عليه : « **من ختم القرآن فله دعوة مستجابة** »[١] .

١٥ـ ويسن إذا فرغ من الختمة أن يشرع في أخرى عقب الختم : دليل ذلك قول المعصوم ﷺ : « **أحب الأعمال إلى الله الحالُّ المرتحل ، الذي يضرب من أول القرآن إلى آخره ، كلما حل ارتحل** »[٢] .

١٦ـ ويسنّ قراءة ما تيسر من القرآن ، دليل ذلك قوله تعالى : ﴿ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ ﴾ [المزمل : ٢٠] .

١٧ـ ويستحب الاستماع إلى القرآن : لأن في ذلك إشراقٌ للأنوار ، مصداق ذلك قوله ﷺ : « **من استمع إلى آيةٍ من كتاب الله تعالى كُتب له حسنة مضاعفة ، ومن تلاها كانت له نوراً يوم القيامة** »[٣] .

---

(١) ضعيف الجامع الصغير (٤/ ٥٧) .
(٢) سنن الترمذي (٥٩٤٨) .
(٣) مسند الإمام أحمد (٩٢٨٩) .

ب ـ مكروهات تلاوة القرآن :

١ـ لا يجوز قراءة القرآن منكوساً : أي قراءة السورة من آخرها إلى أولها .

ومثله أن يبدأ من آخر القرآن من المعوذتين ثم يرتفع إلى البقرة ، إلا إذا كان يقوم بتعليم الصبيان والأعاجم ، مصداق ذلك أن رجلاً جاء إلى ابن مسعود رضي الله عنه فقال : يا أبا عبد الرحمن، أرأيت رجلاً يقرأ القرآن منكوساً؟ . .

قال : ذاك منكوس القلب! .

٢ـ تُكره قراءة القرآن في حالة الركوع والسجود والتشهد ، وغيرها من أحوال الصلاة سوى القيام .

٣ـ وتُكره القراءة لمن أكل ثوماً أو بصلاً ونحوه .

٤ـ ولا تجوز قراءة القرآن بغير العربية ، سواء في الصلاة أم بخارجها .

٥ـ وتُكره القراءة حالة النعاس الشديد ، دليل ذلك قوله ﷺ : « **إذا قام أحدكم من الليل فاستعجم القرآن على لسانه ، فلم يدر ما يقول ، فليضطجع** »[١] .

---

(١) صحيح مسلم (٧٨٧) .

ج ـ إكرام أهل القرآن الكريم :

١ـ فضل من تعلم القرآن وعلمه : دليل ذلك قول الرسول ﷺ : « خيركم من تعلم القرآن وعلّمه »[١] .

٢ـ فضل حملة القرآن : دليل ذلك قول المعصوم صلوات الله عليه : « تعلموا هذا القرآن واتلوه ، فإنكم تؤجرون على تلاوته بكل حرفٍ عشر حسنات ، أما إني لا أقول : ﴿الم﴾ عشر ، ولكن الألف عشر ، واللام عشر ، والميم عشر ، وإن هذا القرآن هو النور المبين ، والشفاء النافع ، ونجاة من اتبعه ، وعصمة من تمسك به، لا يعْوج فيقوّم، ولا تنقضي عجائبه، ولا يخلق عن كثرة الرد »[٢] .

٣ـ فضل الاجتماع في بيوت الله لمدارسة القرآن : دليل ذلك قوله صلوات الله عليه : « ما اجتمع قومٌ في بيتٍ من بيوت الله عز وجل ، يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم ، إلا نزلت عليهم السكينة ، وغشيتهم الرحمة ، وحفت بهم

---

(١) صحيح البخاري (٥٠٢٧) .

(٢) مستدرك الحاكم (١/ ٥٥٥) .

الملائكة ، وذكرهم الله فيمن عنده »[1] .

٤ ـ إكرام أهل القرآن : من حيث إن في ذلك تعظيماً لشعائر الله ، مصداق ذلك قوله صلوات الله عليه : « **إن من إجلال الله إكرام ذي الشيبة المسلم ، وحامل القرآن غير المغالي فيه والجافي عنه ، وإكرام ذي السلطان المقسط** »[2] .

٥ ـ وعدم الخوض في الحديث عن حملة القرآن ، والابتعاد عن إيذائهم ، مصداق ذلك قوله صلوات الله عليه : « **إن الله تعالى قال : من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب** »[3] .

٦ ـ التمثل بما وعد الله حملة القرآن في الآخرة : دليل ذلك قول المعصوم ﷺ : « **من قرأ القرآن وعمل بما فيه ، أُلبس والديه تاجاً يوم القيامة ، ضوءُهُ أحسنُ من ضوء الشمس**

---

(١) سنن أبي داود (١٤٥٥) .
(٢) سنن أبي داود (٤٨٤٣) .
(٣) صحيح البخاري (٦١٣٧) .

في بيوت الدنيا ، لو كانت فيكم ، فما ظنكم بالذي عمل بهذا ؟! »[1] .

د ـ من أخلاقيات أهل القرآن :

١ـ على من أكرمه الله تعالى بحمل القرآن أن يتخلّق بأخلاق القرآن الكريم : ولذلك عندما سُئلت عائشة رضي الله عنها عن خُلق رسول الله ؟ قالت : كان خُلقه القرآن[2] .

٢ـ أن يكون قلبه مليئاً بتقوىٰ الله سبحانه ، وذلك من خلال الورع في الملبس والمأكل والمشرب ونحو ذلك .

٣ـ وأن يكون مهتمّاً بإصلاح ما فسد من أهل زمانه ، وذلك عن طريق القدوة قبل الكلام .

٤ ـ وأن لا يغفل عما فرض عليه ، وما عهد إليه ، وأن لا يُضيّع ما أكرمه الله به ، دليل ذلك قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ [الحشر : ١٩] .

٥ ـ وأن لا يُتاجر بما حفظ من كتاب الله : ولا يتزلّف لغنيٍّ

---

(١) مسند أحمد (٣/ ٤٤٠) .

(٢) صحيح مسلم (٤٧٦) .

ولا لصاحب جاهٍ ، إنما أن يربط عزّته بعزة الله سبحانه ، وقد حذّر الرسول ﷺ من ذلك فقال : « **من قرأ القرآن فليسأل الله به ، فإنه سيأتي قومٌ يقرؤون القرآن يسألون به الناس** »[1] .

٦ ـ وعلى حامل القرآن أن يعلّم الناس بالرفق ، بعيداً عن المفاضلة بين الأغنياء والفقراء ، وبين السّادة والعبيد ، دليل ذلك قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَىْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الأنعام : ٥٢] .

٧ ـ وعلى حامل القرآن أن يكون حاله كما قال عمر رضي الله عنه : تعلّموا العلم ، وتعلّموا للعلم السكينة والحلم ، وتواضعوا لمن تعلّمون ، وليتواضع لكم من تعلّمون ، ولا تكونوا جبابرة العلماء ، فلا يقوم علمكم بجهلكم[2] .

٨ ـ وعلى حامل القرآن أن لا يهتم فقط بمخارج

---

(١) سنن الترمذي (٢٩١٧) .

(٢) الزهد ، للإمام ابن حنبل (١٢١) .

الحروف ، ونحو ذلك من شكليات ، إنما عليه أن يهتم ـ مع التجويد والتلاوة ـ بروح القرآن وجوهره ، ورحم الله الحسن عندما قال : قُراء القرآن ثلاثة رجال :

أ ـ فرجل قرأه فاتخذه بضاعةً : ونقله من بلدٍ إلى بلد .

ب ـ ورجل قرأه فأقام على حروفه وضيّع حدوده ، يقول : إني والله لا أُسقط من القرآن حرفاً . كثّر الله بهم القبور وأخلا منهم الدور ، فوالله لهم أشد كبراً من صاحب السرير على سريره ، ومن صاحب المنبر على منبره .

جـ ـ ورجل قرأه فأسهر ليله وأظمأ نهاره ومنع شهوته . . فجثوا في براثنهم ، وركدوا في محاريبهم ، ينفي الله بهم عنا العدو ، وبهم يسقينا الله الغيث ، وهذا الضرب من القرّاء أعزّ من الكبريت الأحمر ! .

* * *

بين القرآن والإنسان

هناك بعض التداخلات فيما يتعلق بعلاقة الإنسان بالقرآن ، أهمها :

١ـ صلة الوصل بين الله والإنسان! :

في مطالع سورة الرحمن حديث جامعٌ مانعٌ عن شأن القرآن بالنسبة للإنسان، حيث يقول الله سبحانه : ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ﴾ [الرحمن : ١ـ٤] .

وهذا التناسب بين الآيات على هكذا ترتيب يُعطي أدلةً واضحةً على العلاقة بين الإنسان وبين القرآن ، حيث الرحمن سبحانه ، ثم القرآن المعجز ، ثم الإنسان ، علماً أن بدايات خلق الإنسان ـ آدم عليه السلام ـ سابقةٌ لتنزّل القرآن الكريم! .

وبالتالي ، فالقرآن الكريم موصولٌ بالرحمن من جهة ، ومتصلٌ بالإنسان من جهة أخرى ، مما يدلّ على أن كل ما جاء في القرآن يحمل النفع والخيرية للإنسان ، حتى قبل مولده .

ومما يطمئن أكثر أن القرآن لم يحدث له ما حدث للكتب السابقة من تحريفات وتزويرات ، وذلك لأن الرحمن سبحانه هو الذي حفظ القرآن ، مصداق ذلك قوله سبحانه : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر : ٩] .

فالرحمن هو الذي أنزل القرآن من أجل هداية الإنسان ، فهل يعي العالَم هذا التناسق ؟! .

٢ـ كل ما في القرآن من أجل الإنسان :

ليس القرآن قصصاً وحكايات ، إنما هو ـ في جميع آياته ـ نور وهداية للإنسان، حتى الآيات التي تتحدث عن عجائب الله في الكون ، تهدف إلى تنبيه الإنسان إلى تلك الأسرار ، مثال ذلك قوله تعالى : ﴿ قُل لِّمَنِ الْأَرْضُ وَمَن فِيهَا إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴾ [المؤمنون : ٨٤ـ٨٩] .

٣ـ القرآن والكون متوافقين :

ذلك لأن كل ما يدعو إليه القرآن منظم ومتناسقٌ ، وكذلك كل ما في هذا الكون ناطقٌ بهذه الأمور ، وهذا هو السرّ وراء تركيز القرآن على مخاطبة الإنسان بالنظر والتأمل والتفكر في هذا الكون ، لعله يتجاوب مع ذلك التنسيق العجيب ، مثال ذلك : دعوة القرآن للإنسان إلى التوقف عند حركات كل ما في هذا الكون ، وكذلك لسان حال الكون ينطق بأفصح لغةٍ عن عظمة الله سبحانه ، مصداق ذلك قوله عز وجل : ﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ [يس : ٣٧ـ٤٠] .

٤ـ لا نجاة للإنسان إلا بالقرآن :

كل الأمور الضرورية للإنسان ، كالماء مثلاً ، تكفّل الخالق سبحانه بحفظها ، وإلا لو وَكَلَها الله للإنسان لما استطاع حفظها ، وبالتالي كانت النتيجة هلاكاً وخسراناً ، قال

تعالى : ﴿ قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّيٓ إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ ٱلْإِنفَاقِ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ قَتُورًا ﴾ [الإسراء : ١٠٠]، ويقول سبحانه : ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴾ [الواقعة : ٦٨-٧٠] .

لكن الماء مثلاً مهم للإنسان في الدنيا فقط ، بينما القرآن مهم للإنسان في الدنيا والآخرة ، بحيث يأتي يوم القيامة ليدافع عنه ، مصداق ذلك قوله صلوات الله عليه : « **يُؤتى بالقرآن وأهله الذين كانوا يعملون به في الدنيا ، تقْدمه سورة البقرة وآل عمران ، تُحاجّان عن صاحبهما** » .

ثم إن الماء مثلاً ذُكر بالبركة في آيةٍ واحدة ، وهي قوله تعالى : ﴿ وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ ﴾ [ق: ٩].

بينما وُصف القرآن (بالمبارك) في أربعة مواضع ، مصداق ذلك قوله تعالى : ﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [الأنعام : ١٥٥] . . وهذا يؤكد على أن نجاة الإنسان وهدايته، في كل وقتٍ وحين ، لا تكون إلا بالقرآن ، مصداق ذلك قوله سبحانه : ﴿ فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا

يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ﴾ [طه: ١٢٣ـ١٢٤].

٥ـ ما أكثر ما يتعلم الإنسان من القرآن!!:

فهو يتعلم من القرآن حكمة خلقه، وسرّ وجوده، قال تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَـٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَـٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ﴾ [المؤمنون: ١١٥ـ١١٦].

ويتعلم من القرآن أن هناك داراً بعد دار الدنيا، تُدعى دار الآخرة، فيها حساب ولا عمل، وجنة أو نار، قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ [آل عمران: ٣٠].

ويتعلم من القرآن الغاية من وجود البشر، والحكمة من خلقه، وذلك من أجل التعامل بالحسنى مع الآخرين، كما في قوله سبحانه: ﴿قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤].

ويتعلم من القرآن اتخاذ أسباب القوة ، خاصةً عن طريق العلم والعمل، للوصول إلى العدل بين بني البشر، قال تعالى : ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحديد : ٢٥] .

ويتعلم الإنسان من القرآن الآداب، والأخلاق، والسلوك، ونحو ذلك .

لكن المكابرين المعاندين ، والذين لا تُعجبهم تعاليم القرآن لا يعيشون في الدنيا إلا تعاسةً وخسراناً ، ويوم القيامة يحشرون في جهنم وبئس المصير ، مصداق ذلك قوله سبحانه : ﴿ قُل لِّمَن مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُل لِّلَّهِ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام : ١٢] .

فهل وعت البشرية أسرار علاقة القرآن بالإنسان ؟!! . .

* * *

ما أكثر أعداء القرآن ، ولكن...!!

منذ اللحظات الأولى لتنزل القرآن على قلب الرسول ﷺ ، وحتى يومنا هذا ، والقرآن يتعرض لحملات عنيفة ومتنوعة ، مثال ذلك :

١ـ مقالات المشركين عن القرآن :

ما إن حمل جبريل عليه السلام بواكير الوحي ﴿ اقْرَأْ ﴾ إلى الرسول ﷺ ، حتى بدأ المشركون حملات على القرآن ، وقد أورد البيان الإلٰهي بعض النماذج ؛ منها :

أ ـ قالوا : أساطير الأولين : كما في قوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ [الفرقان : ٥] .

ب ـ وقالوا : إنه سحر ساحر : كما في قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ هَٰذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴾ [الأحقاف : ٧] .

ج ـ وقالوا : إن الرسول ﷺ افتراه : كما في قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُكُمْ وَقَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ مُّفْتَرًى ﴾ [سبأ : ٤٣] .

د ـ وقالوا : لو كان القرآن حقّاً لأنزل على محمد بن عبد الله جملةً واحدة : كما في قوله سبحانه : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴾ [الفرقان : ٣٢] .

هـ ـ وقالوا : لولا نزل على عظيم منهم : كما في قوله سبحانه : ﴿ وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ [الزخرف : ٣١ـ٣٢] .

و ـ وتنادوا إلى التشويش على القرآن! كما في قوله سبحانه : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴾ [فصلت: ٢٦] .

ز ـ وأثاروا الشبهات حول مصدر القرآن الكريم : حيث قالوا تارةً : إن رجلاً من اليمامة يُقال له: الرحمان ؛ هو الذي

يعلّم الرسول ﷺ! وقالوا تارةً : بل إنه يتعلّم من غلام نصراني يُقال له: جبر ، فأنزل الله تعالى قوله : ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ﴾ [النحل : ١٠٣] .

ح ـ وكانوا يستهزئون عند سماعهم القرآن ؛ فيقولون مرة: قلوبنا غُلف! ومرةً : في آذاننا وقرٌ لا نسمع ما تقول! ومرة : ومن بيننا وبينك حجاب! وما إلى هنالك .

٢ـ مواقف الملحدين من القرآن الكريم :

لقد تعرض القرآن الكريم لهجومات وتخرصات ، لا من ملاحدة العرب فقط ، بل من مختلف ملاحدة العالم ، وما زال يتعرض في أيامنا هذه ، لكن الشيء الرائع أن البيان الإلٰهي سجل ذلك في ثنايا القرآن ليضيف دليلاً آخر على عظمة صموده لهم ، مع قوة حججه وأدلته ، مصداق ذلك قوله تعالى : ﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِّن رَّبِّهِ ۖ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِندَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝ قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا ۖ يَعْلَمُ مَا فِي

ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ وَكَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [العنكبوت : ٥٠ ـ ٥٢] .

ومن جهة أخرى ، فقد سجل القرآن كثيراً من الجولات بين الرسول ﷺ وبين الملاحدة ، فيما يدور حول القرآن ، مثال ذلك قوله سبحانه : ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ ۚ قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآئِ نَفْسِىٓ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [يونس : ١٥ ـ ١٦] .

حتى إن القرآن يرسم لنا لوحات من حركات الملاحدة ثم يبين النتيجة الحتمية للصراع مع القرآن ، مثال ذلك قوله تعالى : ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٣٩﴾ أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ ۚ ظُلُمَٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ ۚ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا ۗ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ [النور : ٣٩ ـ ٤٠] .

ثم يعطي القرآن بعض النماذج من أقوال الملاحدة ، مثلاً : إنكارهم وجود الخالق ، وتأتي الحجج والبراهين المنطقية

لتفحمهم تماماً ، كما في قوله تعالى : ﴿ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْزُونٍ ﴿١٩﴾ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ وَمَن لَّسْتُمْ لَهُۥ بِرَٰزِقِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾ وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ ﴾ [الحجر : ١٩ ـ ٢٢] .

وهكذا يتبين للباحث أن الملاحدة يدورون حول بعض المسائل التي لم تستوعبها عقولهم فيشككون بها ، مثل : كثير من مواقف السيرة النبوية ، والقصص القرآنية ، وحكاية خلق آدم عليه السلام ، والجن والملائكة ، وبعض المشاهد الكونية التي ذكرها القرآن ، ونحو ذلك! . .

لكن تبقى المسألة كما قال تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾ [الفتح : ٢٨] .

٣ـ المبشرون وموقفهم من القرآن الكريم :

تابع المبشرون ما قام به الملاحدة من صدٍّ عن القرآن ، وتجلى ذلك في عدة نواحٍ ؛ منها على سبيل المثال :

أ ـ القرآن هو نسخة عربية من الإنجيل والتوراة ، سواء في المصادر أو المواضيع أو القصص! . .

وفي الرد القرآني على ذلك الافتراء : ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾ [الفرقان : ١] .

ب ـ القرآن من وضع محمد بن عبد الله ، وقد استفاد من السابقين وخاصة الشعراء والكهّان ، وجاء الرد القرآني : ﴿ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ ﴾ [الحاقة : ٤٠ ـ ٤٧] .

ج ـ وقال المبشرون : كان الرسول يستفيد كثيراً من المعلومات التي بحوزة الحنيفيين ، وخاصة في العهد المكي! مثال ذلك ما ورد في القرآن الكريم : ﴿ قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [الأنعام : ١٦١] .

د ـ وقالوا : إن محمداً وأهل الكتاب كانوا أمة واحدة في مكة ، مستدلين على ذلك بقوله تعالى : ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ

أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾ وَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ ۖ كُلٌّ إِلَيْنَا رَٰجِعُونَ﴾ [الأنبياء : ٩٢ ـ ٩٣] .

هـ ـ وقالوا : لما استقر للرسول الأمر في المدينة حيث أسس لدولة فتية وقوية ، عندئذٍ انقلب على من كان منهم ، وهم اليهود والنصارى! . .

وفي الرد القرآني : ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة : ٢٥٦] .

والواقع أن الحملة على اليهود كانت بسبب غدرهم وخيانتهم ومحاولات اغتيال النبي ﷺ في أكثر من موقع ، ولذلك خاطبهم الباري سبحانه : ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۖ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [المائدة : ٦٨] .

و ـ وقالوا : إن القرآن عربي وليس عالمياً! . .

والردّ القرآني : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾ [النساء : ١٧٤].

أجل! لقد تعرض القرآن الكريم إلى أعتى حملات تشويه وتشكيك، سواء من الكافرين، أو المشركين، أو الملاحدة، أو المبشرين!..

وما زالت الحملات قائمة حتى اليوم، لكن الذي يبعث في القلوب الطمأنينة هي قوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣٢-٣٣].

* * *

ما هو واجبنا نحو القرآن ؟

١ـ فرقٌ كبير!!:

كان الرعيل الأول من الأمة يعتنون بالقرآن ، من خلال أربعة مواطن ، هي :

ـ باللسان : كالعبادة (صلاة ، وصوم ، وزكاة . . .) .

ـ بالأذهان : تدبّر ، وتأمّل ، وتفكّر .

ـ بالجنان : أي بالقلوب .

ـ بالأركان : أي بجوارحهم ، فطبقوا أحكامه . . .

لكن مع تقادم الزمان ، انحسر ذلك كله إلى اللسان!! . .

وهذا ما يشهد به واقع المسلمين اليوم ، فقد اهتموا بخط القرآن ، وحجمه ، وغلافه ، وزخرفته! .

واتخذوه للأموات ، إلى درجة أن الإنسان اليوم ما إن

يسمع القرآن يُتلى في مكان ما ، حتى يتساءل : إن في هذا المكان ميت!! . .

علماً أن القرآن الكريم ما نزل للأموات ، إنما نزل للإحياء والأحياء ، قال تعالى : ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ [الشورى : ٥٢] .

ولهذا أصبح القرآن فينا غريباً ، وهذا ما هدف إليه أعداء الأمة ، وذلك حينما أيقنوا أن عزّ الأمة وتقدمها مرتبط بالتمسّك بحبل الله المتين ، وهو القرآن الكريم .

٢ـ هل سبب تخلفنا هو القرآن ؟! :

إذا التفت المسلم حوله ، رأى كل الاختراعات وكل الرقي والتقدم العلمي وغيره ، مصدره بلادٌ لا تتصل مع القرآن بشيء! ثم ينظر في واقعنا فيرى التخلّف والمرض والجهل والفقر ، فيتساءل : هل سبب تخلفنا هو القرآن ؟ أبداً ، عندما تركنا تعاليم القرآن آل وضعنا إلى ما نحن عليه ، وإلا أين صناعاتنا الحربية ، والقرآن يناديا : ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ

وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ﴾ [الحديد : ٢٥] .

وأين صناعاتنا الجلدية ، والقرآن يدلنا على ذلك : ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلْأَنْعَٰمِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَآ أَثَٰثًا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ﴾ [النحل : ٨٠] .

وما هو مدى استفادتنا من الطاقة الشمسية ، والقرآن يصدح فوق رؤوسنا : ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ﴾ [يونس : ٥] .

وهكذا، ضاع القرآن بين المسلمين، والذي شارك في تضييعه: عالمٌ جامدٌ، وجاهلٌ جاحد!! . .

٣ـ واجبنا نحو القرآن الكريم :

لقد توحّدت الأمة الممزّقة بالقرآن ، وأصبحت بعد الضياع والأمية تسود العالم وتنوره ، كل ذلك عندما تمسّك المسلمون بالقرآن : ترتيلاً ، وتدبُّراً وعملاً بما جاء فيه ، في سلمهم وحربهم مع القرآن ، في البيت والمسجد والعمل

والقتال مع القرآن ، حتى إن الزوجة كانت تبادر زوجها عندما تفتح له الباب ، فتقول : كم نزل اليوم من القرآن ؟ . .

أما اليوم ، فقد أُحيط بالأمة المسلمة من كل مكان : قتل وتدمير واستباحة للحرمات ، نهبٌ للثروات ، احتلالٌ للمقدسات ، غزو فكري ، و . . . و . . . !! .

فما هو المخرج من ذلك يا رسول الله ؟ . .

قال : **«إن جبريل أخبرني أن أمتي مختلفة، فقلتُ : فما المخرج ؟ قال : كتاب الله »** .

وما دام العالم اليوم منقسماً إلى قسمين : أهل الكفر الذين لا يؤمنون بالقرآن ، وأهل الإيمان البعيدون عن القرآن ، النائمون نومة أهل الكهف أو تزيد! . .

لذلك فالواجب علينا أن نبيّن للناس أن القرآن هو المنهج الصالح لإنقاذ هذا العالم ، وذلك لأن الله تعالى قد وصفه بقوله : ﴿وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى : ٥٢] . . وعلينا أن نجعل من القرآن هادياً ، ومعلماً ، وأنيساً ، وناصحاً ، وعسى أن نكون

للآخرين قدوة وأسوة ، عسى أن يخرج العالم من دياجير الظلمات ، وتدهور ـ بل وإفلاس ـ النظم الأرضية ﴿ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَا ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ [التغابن : ٨] .

* * *

الخاتمة

رضي الله عن عمر بن عبد العزيز ، كان إذا شُغل بمصالح المسلمين ، جاء إلى المصحف الشريف ، وقرأ ولو آيتين ، فسُئل عن ذلك ؟ فقال : أفعل ذلك حتى لا أكون ممن اتخذوا هذا القرآن مهجوراً! .

فهل نسير على درب الرعيل الأول ؟ والذين عاشوا مع القرآن في كل حركات حياتهم ، فأصبح القرآن هو الحاكم والمهيمن علي تصرفاتهم .

وإلا ، لو بقينا نهتم بأمور لا تُسمن ولا تُغني من جوع ، وتركنا روح القرآن وجوهره ، فإن حالنا سيكون كما قرر القرآن الكريم : ﴿ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴾ [الفرقان : ٣٠] .

نسأل الله بحق القرآن الكريم أن يفهّمنا حقائق الأشياء ، ويغفر الذنوب ، ويستر العيوب ، ويجعلنا من المقبولين

المرحومين ، وصلى الله على نبينا محمد ، وعلى آله وأصحابه ومن سار على الدرب إلى يوم الدين .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

* * *

الفهرس

● **تمهيد** ٥

ـ من خصائص القرآن ٧

ـ من مبادئ القرآن ١٤

ـ كيفية تلاوة القرآن ٢٢

ـ كيفية حفظ القرآن ٢٨

ـ كيفية فهم القرآن ٣٣

ـ القرآن: منهج ودستور ٤٠

ـ في صحبة القرآن ٤٨

ـ بين القرآن والإنسان ٥٨

ـ ما أكثر أعداء القرآن، ولكن!! ٦٤

ـ ما هو واجبنا نحو القرآن؟ ٧٢

● **الخاتمة** ٧٧

● **الفهرس** ٧٩

* * *